أولا ـ نسب الحماديين :

بنتسب حماد جد الحماديين إلى زيري بن مناد بن منقوش الذي رأيناه سابقا جد الزيريين ، وهكذا يكون بنو حماد وبنو زيري بنو العمومة، ويذكر ابن حزم الأندلسي أن صنهاج هو أحد أبناء برنس بن بُر بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح[1]، لكن الخلاف كبير جدا بين النسابة والمؤرخين في أصل البربر عُموما والصنهاجيين على الخصوص، وقد أُطلق على صنهاجة المغرب الأوسط وافريقية صنهاجة الشمال، ويُصنفها ابن خلدون في الطبقة الأولى، وذكر أنهم يشكلون ثُلث البربر وانتشروا في كامل أقطار المغرب، ومن بطونهم تلكاتة وأنجفة وشرطة ولمتونة ومسوفة وكدالة ومندلسة وبنو وارث وبنو يتين[2].

1 ـ حماد بن بلكين :

ذكر ابن الخطيب أن حماد كان شجاعا جوادا قرأ الفقه بالقيروان ونظر في الجدل وكان من أكمل الملوك، فعز وظهر على أعدائه، وكان نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه ملكا كبيرا، وشجاعا ثبتًا وداهية حصيفًا[3]، ومع هذا كانت له فطنة وفراسة حسنة وذكاء وله أخبار مشهورة محفوظة، وكان ظهوره في عهد أخيه المنصور حيث برز كحام للبيت الزيري الحاكم، ولم تكن له نية أو طمع في الحكم على الأقل في فترة حكم أخيه، وواصل قمع الطامحين الى السلطة ومنهم اخوه ماكسن بن زيري وولديه محسن وباديس الذين قتلهم سنة 391 هـ/ 1000 م، أما زاوي بن زيري وحباسة وحبوس فقد عبروا إلى العدوة الأندلسية بعد أن أمنهم[4].

برز حماد بشكل كبير في عهد أخيه المنصور في حروب كثيرة خاضها ضد زناتة لحماية الجانب الغربي من الدولة، وبوفاة المنصور سنة 386 هـ/ 996 م أصبح الطريق مفتوحا أمام حماد لتحقيق مبتغاه، فقد اضطر ابن أخيه باديس للاستعانة به لأنه صاحب خبرة في مجال تطويع زناتة، فقد أقطعه مدينة أشير ودعمه بالسلاح والخيل[5]، وبالفعل قد تمكن من تأدية مهامه خاصة في دحض خطر عمه زاوي وماكسن وجلال الذين اتجهوا إلى الاندلس بعد استسلامهم[6].

---

[1] ابن حزم الأندلسي، مصدر سابق، ص 495 .

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6 ، ص ص 201 – 202 .

[3] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص ص 71 ، 85

[4] عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص 561 – 562 .

[5] ابن الأثير، مصدر سابق، ج 9، ص 386 .

[6] ابن عذاري، البيان ...، ج 1، ص 361 .

نجح حماد نجاحا منقطع النظير في تأدية مهامه وتشارط مع ابن أخيه على تثبيته في أشير، وهذا يعني تملكه للمغرب الأوسط، والأكثر من ذلك اختطاطه للقلعة سنة 398 هـ/ 1007 م، حيث يعتبر هذا الحدث ميلادا للدولة الحمادية الجديدة، والتي قرر بها العمران وشيد بها القصور وخلد بها العمران كما ذكر ابن الخطيب[1]، وبحلول سنة 405 هـ/ 1014 م جمع جيشًا قِوامه ثلاثون ألف مقاتل[2]، وفي الجانب المذهبي نبذ طاعة العبيدين وبدأ في تتبع الروافض وأطاع الخلافة العباسية، وهكذا تتضح نية حماد في الاستقلال.

وقد عمل أيضا على تدعيم مركزه وتأصيل روابط القرابة مع أبناء أخيه المنصور حيث زوج ابنه عبد الله من أم العلو أخت المعز لتزداد الصلات بين البيتين[3]، والملاحظ في فترة حماد هو الحروب الكثيرة التي خاضها بلكين في المغرب الأوسط، وهذا طبيعي لإثبات حقه مقابل الخدمات التي قدمها للزيريين، ولم يلبث حماد أن توفي سنة 419 هـ/1028 م[4] بعد أن أرسى دعائم دولته لابنه القائد الذي سيحل محله في حكم الدولة.

2 ـ القائد بن حماد : 419 – 446 هـ/ 1028 – 1054 م .

استقام الأمر للقائد وذلك راجع إلى المشاكل التي حلت على المعز بما دهمه من العرب الهلالية، وقد كان القائد سديد الرأي عظيم القدر، وأول ما واجه القائد في فترة حكمه هو زحف حمامة بن زيري بن عطية الزناتي صاحب فاس على الجهة الغربية من مملكته، وراح ضحية هذا الصراع الكثير من الزناتيين، كما عمل على تنظيم ولايات دولته إذ ولى أخاه يوسف على الجهة الغربية وولى أخاه "ريغلان" على سوق حمزة القريبة من بجاية[5]، كما أنه واصل سياسة أبيه في الانفصال التام عن الزيريين، إذ أعلن استقلاله وعدم اتباع سياسة الزيريين القاضية باتباع الفاطمين فسار إليه المعز سنة 432هـ/ 1040 م، وحاصر أشر والقلعة لكن الرجلان توصلا إلى اتفاق فعاد المعز إلى القيروان[6].

---

[1] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 71.

[2] ابن الأثير، مصدر سابق، ج 8، ص 86 .

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص 196 .

[4] ابن الاثير، مصدر سابق، ج 8 ، ص 157 .

[5] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 86 .

[6] نفسه، ص 86 ، أنظر أيضا، ابن عذاري، البيان...، ج 1، ص 397.

كان الزحف الهلالي يصب في مصلحة القائد بن حماد بحيث أن الفاطميين أرادو الانتقام من الزيريين، ويبدو المراسلات بينه وبين الفاطميين أتت بثمارها بحيث أرسل له المستنصر لقبا تشريفيا " شرف الدولة"[1]، وكان من نتائج هذا أن هنأ القائد بمملكته[2]، واستمر على هذه الحال إلى أن توفي سمة 446 هـ / 1054 م

3 ـ مُحسن بن القائد : 446 – 447 هـ / 1054 – 1055 م .

كان على محسن أن يمتثل لأوامر أبيه بأن لا يخرج من القلعة حتى يبلغ سن الثلاثين، وأن يحسن إلى أعمامه وعلى الخصوص يوسف ورغلان، لكنه خالف نواهي أبيه وابتدأ سياسة تأخير أعمامه وأول من ثار عليه من أعامه يوسف الذي سمع أن محسن عزله من مهامه فخرج من القلعة لمحاربته[3]، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فخلال السنة الوحيدة التي حكم خلالها قتل اربعًا من أعمامه، وكان من نتائج هذا أن قُتل على يد ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد الذي تملك القلعة من بعد محسن[4].

4 ـ بلكين بن محمد بن حماد : 447 – 454 هـ/ 1055 – 1062 م .

لقد ساعدت بلكين مجموعة من الظروف في توليه الحكم منها دخول الزيريين في مشاكل مع الفاطميين، وكان من نتائجه غزو العرب الهلالية للمغرب بداية من القيروان وخرابها والهزائم المتتالية التي تلقاها المعز على أيديهم، وكان بلكين يتصف بالشدة والقسوة وسفك الدماء وفعل العظائم من الأمور كما ذكرت المصادر التاريخية، كما يتضح ذلك بتنكيله مع الخارجين على حكمه ومنهم والي بسكرة جعفر بن رمان الذي قتله وأباد أسرته ونكل بالمدينة وأحرقها سنة 450 هـ/ 1058 م[5].

عرفت فترة حكم بلكين زحف المرابطين الى المغرب وقد اصطدم بهم ولكن دون جدوى، ولم يلبث أن توفي في قصة مفادها أنه قتلت زوجته "تانميرت" التي اتهمها بقتل أخيه "مقاتل" وكانت

[1] ابن خلدون، تاريخ ...، ج 6، ص 19 .

[2] رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968 م ص 209.

[3] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 87 .

[4] ابن الأثير، مصدر سابق، ج 8 ، ص 317 .

[5] ابن بسام، مصدر سابق، مج 1، ص 189 – 190 .

زوجته ابنة عمه وأخت الناصر هذا الأخير الذي عول على الانتقام فما كان عليه إلا أن تحرك إليه كما يذكر ابن بسام وعاجله بالحسام وقتله، وكان ذلك في سنة 454 هـ/ 1062 م[1].

5 ـ الناصر بن علناس : 454 – 481 هـ/ 1062 – 1088 م .

يعتبر عصره من أزهى عصور الدولة الحمادية على الرغم من أن المؤرخين نسبوا إليه صفات الشدة والخشونة وسفك الدماء، ومع كل هذا كان شديد المروءة غيورا على النساء، كما كان من أكثر الملوك الذين تعاقبوا على الدولة دهاء وحزما[2]، وقد عاش جل فترة حكمه في صراع مع بني زيري، ولما غزا العرب افريقية اتخذ سياسة الحياد لأنه كان أقوى من الزيريين في هذه الفترة كما يذكر الحميري[3]، وترك بني عمومته يتعرضون لهجومات القبائل العربية من جهة، وهجمات النورمان من جهة أخرى والذين استرجعوا جزيرة صقلية نهائيا من المسلمين[4]، وقد قال فيه الشعراء قصائد كثيرة وتوفي في جمادى الآخرة سنة 481 هـ/ 1088 م[5]

6 ـ المنصور بن الناصر : 481 – 498 هـ / 1181 – 1104 م .

سار المنصور على نفس سياسة أبيه في الحزم والعزم والرئاسة[6]، واهتم بالبناء والتشييد، وتخطيط مجاري المياه والمساجد وإقامة البساتين وصيرها دارا لمُلكه[7]، ضابطا للأمور حميد الخلال يكتب ويشعر ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور من رقع الثياب والتحفظ على القليل من الأشياء وفي أيامه مزل عليه عز الدولة بن صمادح حيث أقطعه مدينة تدلس بعد أن قضى المرابطون على ملكه في الأندلس[8]، وكان أخطر ما واجهه المنصور تقدم المرابطين الذي طمعوا في بلاده[9]، ولكن تركيز هؤلاء على الأندلس جعلهم يتراجعون نوعا ما، لأن الظروف حتمت حتمت عليهم ذلك، فالخطر كامن من الجهة الشمالية وذلك أهم لهم من الجهة الشرقية.

---

[1] ابن بسام، مصدر سابق، مج 1، ص 190 .

[2] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 96 .

[3] الحميري، مصدر سابق، ص 81 .

[4] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 2، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1411 هـ / 1991 م، ص 138 .

[5] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص ص 96 – 97 .

[6] ابن الأثير، مصدر سابق، ج 8 ، ص 481 .

[7] ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 232 .

[8] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 97 .

[9] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ج 2، ص 208 .

لم تطل سنوات حكم المنصور، حيث توفي سنة 498 هـ/ 1104 م، وهو الذي قُدر له إعطاء دفعة للدولة الحمادية أمنيا وحضاريا، وسط ظروف بالغة الصعوبة، وذلك بعد عودته من حربه الأخيرة مع المرابطين وولي الأمر بعده ابنه باديس الملقب بأبي مُعد في السنة نفسها التي توفي فيها والده[1].

ثانيا ـ باقي أمراء الدولة الحمادية :

لم تطل مدة حكم باديس بن المنصور إلا لأشهر معدودة حيث قامت أمه بتسميمه لأنه كان يتوعدها[2] ومات في السنة نفسها التي تولى فيها حكم الدولة الحمادية، وتولى الحكم مكانه أخوه **العزيز** 498 – 518 هـ/ 1105 – 1121 م، حيث كان يشبه الى حد كبير الناصر بن علناس في سياسته ويصفه المؤرخون بأنه كان حازما ماهرا عارفا بشؤون الممالك رغم صغر سنه التي لم تتعدى السابعة عشر[3]، وكانت سياسته تعتمد على تقريب الأعداء ومصالحتهم ومنهم زناتة، وأيضا وأيضا المرابطين بحيث ما ان حلت سنة 500 هـ/ ... م حتى توفي يوسف بن تاشفين، وعرفت فترة حكم العزيز وفود ابن تومرت صاحب دولة الموحدين إلى بجاية حيث ناظر علمائها، ومنها فر إلى السوس[4].

كان للمهدي بن تومرت الذي ذكرناه سابقا دور كبير في سقوط دولة المرابطية التي ربطت مواثيق المصالحة مع الحماديين ولكن منذ سقوط المرابطين سنة 541 هـ/ 1106 م، خلفتها دولة الموحدين التي كان نيتها إزاحة كل مافي طريقها من دول، أما الحماديون في هذه الفترة فقد تولى أمرهم يحيى بن العزيز وهو آخر الأمراء 515 – 547 هـ / 1121 – 1152 م، وقد شغله الصراع مع النورمان من جهة والصراع الموحدين من جهة أخرى واستمر هذا الوضع إلى سنة 547 هـ / 1152 م، وهي السنة التي زحف فيها عبد المؤمن بن علي على بجاية واستولى عليها وطوى تاريخ الدولة الحمادية[5]

---

[1] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 97 ، أنظر أيضا، عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 147 .

[2] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 98 .

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ج 1 ، ص 377 .

[4] أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المعروف بابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ط2، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410 هـ / 1990 م، ص 76 – 77 .

[5] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 163 .

ثالثا ـ نظام الحكم :

شكلها السياسي ملكي وإدارتها حرة مستقلة تحت إشراف رئيسها الأعلى الأمير أو الملك، وكان للمملكة عاصمتان القلعة أولا ثم بجاية، وأعضاء الدولة هم الوزراء والعمال المُنبثون في القطر الجزائري، بونة عنابة الجزائر آشير القلعة جيجل، أما الجنوب فقد أشرف عليه رجال محنكون في الإدارة تحت رعاية الملك الحمادي، وعاصمة الجنوب هي بسكرة، وللحكومة أسطول ضخم كله من صنع دار الصناعة ببجاية[1].

يضاف لها الأسر الحاكمة التي كان لها شأن ورِفعة عند ملوك بني حماد، وكانوا يتولون الولايات، مثل أسرة بني رمان الذين كانوا يشرفون على إدارة بسكرة قاعدة الزاب، كما كان للجيش والأسطول أهميتهما في الدولة، وعلى الخصوص دار الصناعة الموجودة ببجاية والتي اختصاصها صناعة السفن والمراكب والحرابى[2] .

رابعا ـ عوامل سقوط الدولة الحمادية :

ـ يأتي على رأس العوامل التي ساهمت في نهاية دولة بني حماد النزاع الدائم مع الجيران من زناتة في الغرب والزيريين في الشرق، فعِوض أن يتكاتف هؤلاء حول الخطر الداهم من كل الجهات نرى بنو حماد يحاولون الاستفادة من هذا للإطاحة ببني عمومتهم .

ـ خيانة الوزير ميمون بن حمدون ليحيى إذ هو الذي سهل للموحدين سبل التخلص من الدولة الحمادية .

ـ الغزو النورماني للسواحل الشمالية للدولة مثل بونة وجيجل وغيرها، كان له الأثر البالغ في تراجع موارد الدولة من القرصنة البحرية .

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ج3 ،ص ص 364 – 365 .

[2] أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة ليدن، 1863 م، ص 90 .